عالمية اللغة العربية

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف مفهوم اللغة ووظيفتها والدراسات التي تمت في مجالها سابقاً، ثم نقف على مناحي الدراسات الإنسانية وموقع اللغة فيها، ونبين أخيراً بعض الصوى على طريق النهوض اللغوي .

أولاً– مفهوم اللغة ووظيفتها:

لم يعد مفهوم اللغة مقتصراً على أنها مجموعة من الأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. وإنما ينظر إلى اللغة حالياً على أنها مفهوم منظومي شامل وواسع لا يقتصر على اللغة المنطوق بها بل يشمل المكتوبة والإشارات والإيماءات والتعبيرات التي تصاحب عادة سلوك الكلام، كما يشمل صور التعبير كافة من تمثيل ورسم ونحت وموسيقى، الخ ...إلا أن اللغة المتحدث بها تتبوأ المكانة الأولى بين سائر الجوانب المشار إليها، فالإنسان تعلم الكلام قبل الكتابة، والطفل يتكلم قبل أن يكتب، وما اللغة المكتوبة سوى لغة منطوق بها دونت في نظام مكتوب مصطلح ومتعارف عليه، والاقتصار على اللغة في صورتها المكتوبة يغفل النظام الصوتي في هذه اللغة وآثاره الممكنة على التركيب والمعاني، إذ إن اللغة الصوتية هي وسيلة الاتصال الأكثر ملاءمةً، والأكثر مرونة، والأوفر تنوعاً لتجسيد الفكر التجريدي والتعميمي، كما أنها الأكثر شيوعاً واستخداماً في الحياة.

وعلى الرغم من أن المجتمع البشري يحظى بوسائل اتصال أخرى تبقى اللغة المنطوق بها أهم وسيلة اتصال نظراً لكونها تحقيقاً صوتياً لميل الإنسان إلى رؤية الواقع بطريقة رمزية كما يرى "ادوار سابير" من أعلام علماء اللسان في العصر الحديث.

ولقد درس الباحث الأمريكي "تشارلز هوكت " Charles Hocketالخصائص التي تتميز بها اللغة الإنسانية، فألفى من خلال بحوثه أن أهم سمات هذه اللغة أنها اصطلاحية أو تواضعية، وأن مفرداتها تشير إلى أشياء محسوسة في عالم الواقع وإلى الأفعال التي يؤديها الإنسان أو غيره من المخلوقات، كما أنها تعبر عن الأفكار الذهنية المجردة، وأن الخلف يتوارثها عن السلف، وأنها تشير إلى أشياء وأحداث بعيدة عن المتكلم زمانًا ومكانًا، يضاف إلى ذلك كله سمة هامة، ولعلها من أهم تلك السمات، وهي مقدرة لغة البشر على الابتكار.

والواقع تعد اللغة إنجازًا غير عادي، إنه إنجاز بشري يمثل جهازًا مهندسًا بإتقان لوصف الأماكن والناس، والأشياء الأخرى والأحداث والأفكار والمشاعر، ونحن نستخدمه لإعطاء الاتجاهات وحكاية الماضي وتوقع المستقبل وللإخبار بالقصص الخيالية وللمداهنة والخداع والانخراط في النميمة، وهي طريقة نافعة في نقل أخبار عن آخرين ونقل الخبرة إلى الآخرين.

وغني عن البيان أن اللغة تؤدي وظائف متعددة في حياة الفرد والمجتمع، فهي وسيلة الفرد للتعبير عن مشاعره وعواطفه وأفكاره، وبها يقضي حاجاته وينفذ مطالبه، ويحقق مآربه في المجتمع الذي يحيا فيه، وبوساطتها ينقل تجربته إلى الآخرين، كما أنه يطلع على تجاربهم الحاضرة والماضية وعلى تجارب الأمم الأخرى وخبراتها، كما أن اللغة هي وسيلة المرء للتحكم في بيئته لأنها أداة التفكير وثمرته، إذ إننا نفكر باللغة، فنحن نشعر بوجودنا وبحاجاتنا المختلفة وعواطفنا المتباينة وميولنا المتناقضة حين نفكر، ومعنى ذلك أننا لا نفهم أنفسنا إلا بالتفكير، ونحن لا نفكر في الهواء ولا نستطيع أن نفرض الأشياء على أنفسنا إلا مصورة في هذه الألفاظ التي نقدرها ونديرها في رؤوسنا، ونظهر منها للناس ما نريد، ونحتفظ منها لأنفسنا بما نريد، فنحن نفكر باللغة، ونحن لا نغلو إذا قلنا إنها ليست أداة للتعامل والتعاون الاجتماعيين فحسب، وإنما هي أداة للتفكير والحس والشعور.

واللغة هي الجسر الذي تعبر عليه الأجيال من الماضي إلى الحاضر ومن الحاضر إلى المستقبل، وتعمل على تمتين العلاقة بين أفراد المجموعة البشرية، فهي مؤسسة اجتماعية وإنسانية، ولا يتم اجتماع بشري بغير لغة.

ومن هنا كانت معرفة اللغة وإدراك كنهها والكشف عن أسرارها يؤدي ذلك كله إلى معرفة متكلمي هذه اللغة والاطلاع على أنماط تفكيرهم، وتعرف المستوى الحضاري الذي بلغوه، إذ كما يقول "هيدجر" :"حيث توجد اللغة يوجد عالم، ولما كان التاريخ لا يصير ممكنًا إلا في عالم اقتضى ذلك كله أنه حيث توجد اللغة يوجد التاريخ" فاللغة هي التي أوجدت الحضارات، إذ إن الذي يمنع الحيوانات من أن تكون لها حضارة هو في المحل الأول افتقارها إلى اللغة وعدم وجود قدرة كلامية وفكرية لديها تساعدها على مواصلة تجاربها وخبراتها".

وهكذا نرى أن اللغة قديمًا وحديثًا تمارس سلطتها علينا سواء بسحر أساطيرها أو ببلاغة خطبائها، أو بتضليل إعلامها وزيف إعلانها، ولكنها وسيلتنا المثلى لتحطيم القيود وتحرير الفكر والتصدي للجائر والزائف والجامد والتابع والناقل وغير ذلك من غير الصحيح وغير الأصيل وغير

الأخلاقي، فمن خلال مجازها تحررنا من أسر الكلمات والمعاني السائدة، ومن خلال ابتكاريتها نجعل من الإبداع حقًا مشاعًا للجميع، ومن خلال مرونتها نكتسب قدرة التعامل مع تناقضات الواقع ومتغيراته.

وفي عصرنا الحالي ، عصر العلم والتقانة والمعلوماتية، أضحت اللغة هي الوجود ذاته، وقد أصبح هذا الوجود مرتبطًا بثقل الوجود اللغوي على الشابكة "الانترنيت" وقديمًا قال سقراط لجليسه : تكلم حتى أراك أما اليوم فالشعار هو :تحاور عن بعد حتى يراك الآخرون وتراهم، ومن ثم ترى ذاتك أنت وهي بعيدة عنك أو لصيقة القرب منك في عصر بات فيه سؤال الهوية :من أنا؟ ومن نحن؟ مطروحًا بشدة وعلى أوسع نطاق.

ثانياً -الدراسات اللغوية

يمكننا أن نميز في الدراسات اللغوية بين عهدين، عهد الدراسة التقليدية، وعهد الدراسة الحديثة، وفيما يأتي فكرة عن كل من هذين العهدين.

1- عهد الدراسة التقليدية:

ويمتد هذا العهد من زمن الإغريق حتى بداية القرن العشرين، وقد اتجهت أنظار الباحثين اللغويين فيه اتجاهين بارزين :أولهما تناول دراسة أصل اللغة ونشوئها، وثانيهما تناول الدراسة المقارنة بين اللغات.

1-1- نشوء اللغة وأصلها: إن أسئلة :ما أصل اللغة؟ وكيف نشأت؟ ومتى وضعت؟ كانت مثار اهتمام المفكرين والفلاسفة منذ القدم. وكثيراً ما تضاربت آراؤهم وتناقضت فكرهم في هذا المجال .ويمكن تلخيص مناحي التفكير في هذا الموضوع في ثلاثة توجهات.

- التوجه الأول :يرى أن اللغة توقيفية من السماء، بمعنى أن الله علمها آدم فهي وحي من السماء "وعلَّم آدم الأسماء كلَّها"، ومن أصحاب هذه التوجه "أفلاطون" و"هرقليطس" عند اليونان، و"أحمد بن فارس" في التراث العربي الإسلامي والفيلسوف الفرنسي "دي بونالد" في العصر الحديث.
- التوجه الثاني :ويرى أن اللغة مواضعة واصطلاح من صنع الإنسان، ومن أعلام هذا المنحى "أرسطو" لدى اليونان، و"ابن مسكويه" في تراثنا العربي الإسلامي وكذلك "ابن جني" في هذا التراث، والفيلسوف الإنجليزي "لوك" في العصر الحديث، "وآدم

سميث" من المعاصرين.

- التوجه الثالث :ويوفق بين الاتجاهين الأول والثاني، فهو يوفق بين التوقيفية والمواضعة، ومن أعلامه أفلاطون عند اليونان والراهب "غريغوريوس" في العصر الوسيط، والقاضي أبو بكر في تراثنا العربي الإسلامي، و"فيكو" في إيطاليا الذي يرى أن هذا التوجه أقرب إلى المنطق والعقل.

وواقع الأمر ليس في طاقة الباحث أن يكتشف أطوار النشأة الأولى للغة، ولقد رئي أن البحث في مثل هذه الأمور ما هو إلا ضرب من الميتافيزيقية الغيبية التي أبعد ما تكون عن الأدلة العلمية . ومن هنا قررت جمعية باريس اللغوية في أول نظام صدر لها عام 1866 ألا تسمح بمناقشة أي بحث من البحوث يتناول أصول اللغة، ويرجع السبب الأساسي في ذلك في ضوء رأي "فندريس" إلى الرغبة في تجنب النقاش العاطفي الذي لا يليق بموضوعية العلم.

1-2- الدراسة المقارنة بين اللغات:

كانت الأسفار في القرن السادس عشر عاملاً على إطلاع الغربيين على لغات أخرى، مما أدى إلى ظهور نواة الدراسات المقارنة فعالج "كانينيوس" في كتابه "بنية اللغات" بعض التراكيب اللغوية في السريانية والآشورية والتلمودية والحبشية والعربية.[0]وفي القرن السابع عشر عكست مسرحية "البورجوازي النبيل" لموليير النقاش حول تعليم الكتابة، وظهرت عدة كتب حول مسائل الكتابة في الإنجليزية أو الأسبانية، وبرزت الدراسات الصوتية، وكانت تسيطر في هذا القرن النظرية القائلة إن العبرية هي أم اللغات.

وفي القرن الثامن عشر استمرت الدراسات النحوية أكثر من الصوتية، واستمر في هذا القرن الجرد الوصفي للغات الحية من قبل المبشرين والكتاب الذين رحلوا إلى أسيا وأفريقيا ونشر العالم الألماني "بالاس" Pallas كتاب "مفردات مقارنة بين جميع لغات العالم" وجعله في شكل معجم يشمل 285لفظة مقتبسة من حوالي مائتي لغة أوربية وآسيوية !

ثم أضيف إليها لغات أفريقية وأمريكية في طبعات لاحقة.

وشهد هذا القرن البحث في أصل اللغات ودحض الألماني "لايبنز" leibniz علمياً النظرية القائلة إن العبرية هي أم اللغات، ويعد القرن الثامن عشر عصر النظريات، إذ تعددت فيه النظريات التاريخية في نشأة اللغات واطرد الأسلوب المقارن في دراسة اللغات.

وفي القرن التاسع عشر، وعلى أثر اكتشاف اللغة السنسكريتية توجهت العناية نحو دراسة هذه

اللغة فصدرت في الإنجليزية خمسة كتب تعالج القواعد السنسكريتية ورأى شليغل " Sechlegel الألماني ضرورة وضع معجم مقارن لبيان الشبه بين السنسكريتية واللاتينية واليونانية والألمانية والفارسية، إذ يرى أن هذه اللغات تشتمل على العديد من الجذور المشتركة، وقد بلغ من اتفاق القواعد السنسكريتية مع القواعد اليونانية واللاتينية حداً لا تختلف السنسكريتية عن كل منهما أكثر مما تختلف اليونانية عن اللاتينية.

وبرز في هذا القرن كل من راسك Rask الدانماركي، ويعود إليه الفضل في تعزيز المباحث اللغوية والمقارنة، كما برز "بوب "Bopp مؤسس القواعد المقارنة، وصنف "ماكس موللر" اللغات وفق الأسس التصنيفية المعتمدة في علم كعلم النبات، مما يدل على تأثر مناهج دراسة اللغة بالمناهج المعتمدة في العلوم الطبيعية، ويبدو أن الدراسات اللغوية في القرن التاسع عشر توقفت عند حدود الاستقصاء التاريخي والدراسات المقارنة، يضاف إلى ذلك مجاراة لغويي العصر علماء الطبيعة في مناهجهم وآرائهم التي طبقت في مجال دراسة اللغة.

2- عهد الدراسة الحديثة:

كانت الدراسات اللغوية دراسات تاريخية ومقارنة في القرن التاسع عشر، فإذا هي تتحول مع "دوسوسير" Saussure إلى البحث في اللغة على أنها واقع اجتماعي، له خصائصه التركيبية وأصواته الخاصة به، فجاء بنظرية لغوية تعد ثورة في الدراسات اللغوية المعاصرة لا في أوربا وحدها بل في العالم أجمع، إذ غيرت هذه النظرية طبيعة التفكير اللغوي، ووضعت حداً فاصلاً بين عهدين من الدراسة اللغوية :عهد الدراسة التقليدية وعهد الدراسة الحديثة التي بدأت مع ظهور مدرسة "سوسير"، ويطلق عليها مدرسة "جنيف" أيضاً، وقد انطلقت من رؤيتها أن اللغة نظام أو منظومة "System"، وهي ظاهرة اجتماعية تخضع للتطور والتغير المستمرين، ويجب ألا تنحصر دراسة اللغة في استقصاء أصولها التاريخية البعيدة المدى، ومدى تأثرها باللغات الأخرى أو تأثيرها فيها، بل لابد أن يتركز البحث في تركيبها وأصواتها وخصائص مفرداتها، إذ إن دراسة اللغة في أصولها ومراحل تطورها أمر مهم، ولكن الأهم استقصاء واقعها القائم وأشكالها الراهنة في زمن محدد بمعزل عن خلفياتها التاريخية البعيدة المدى، وقد نظر إلى اللغة على أنها وحدة متكاملة لا تكتسب قيمتها ومعناها إلا من ارتباط أجزائها متمثلة في المفردات والجمل والأصوات، وأن أي تغيير في جانب منها يمتد إلى بقية الجوانب".

ولقد دعا "دوسوسير" إلى إيجاد قواعد عامة للغات جميعها، وكان قد أشار إلى ذلك قدماء

الإغريق من قبل وتبناه "تشومسكي" من بعد.

ثم ظهرت مدرسة "براغ" اللغوية بعد مدرسة "جنيف" ودعت مدرسة "براغ" إلى الكشف عن تأثر اللغة بكثير من الظواهر العقلية والنفسية والاجتماعية، وهذا ما أدى إلى ظهور ثلاثة فروع في علم اللغة هي :علم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم الأسلوب أو الأسلوبية، وظهر هذا اللون في البحث اللغوي أي الأسلوبية على يد الناقد "جاكبسون".

وكان لإدوار سابير **E.Sapir** دور كبير في تطور الدراسات اللغوية وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات المتبادلة بين الفكر واللغة وبينهما وبين البيئة الاجتماعية .ويرى أن اللغة مؤسسة اجتماعية تختلف باختلاف الشعوب، وتؤدي وظيفة أساسية هي وظيفة الاتصال، إذ إن هدفها الأساسي هو التعبير عن الفكر والرغبات والعواطف ضمن المجموعة البشرية التي تتكلمها.

وكان العالم اللغوي "بلومفيلد **Blommfield** بعد أثراً في الدراسات اللغوية من "سابير" إذ إنه تأثر بالمدرسة السلوكية التي لا تهتم إلا بدراسة ظاهر السلوك فقط.

وكان سكنز **Skiner** في كتابه المشهور "السلوك اللغوي" قد حمل لواء الاتجاه السلوكي في دراسة اللغة وتدريسها.

واتصف النصف الأول من القرن العشرين في أمريكا بالمنهج التجريبي إن في العلوم الطبيعية أو في الدراسات اللغوية، فما من فرضية إلا تخضع للدراسة العلمية، وكان ثمة تأثر بالاتجاه السلوكي في ميدان علم النفس وإعطاء اللغة المنطوق بها الأهمية .

ودخلت الدراسات اللغوية مرحلة جديدة على يد العالم اللغوي الأمريكي "تشومسكي" الذي يعد رائداً في الدراسات اللغوية المعاصرة بعد أن ثار على المفاهيم التي كانت سائدة قبله، فقد انتقد بعنف نظرية السلوكيين ومنهجهم في النظر إلى طبيعة اللغة واكتسابها، وتبنى تقسيم "دوسوسير" للغة إلى لغة وكلام، إلا أنه فرق بين مظهرين لغويين هما المقدرة اللغوية أو الإبداعية اللغوية والأداء اللغوي . والمقدرة اللغوية هي مجموعة من القواعد الذهنية وهي قواعد فطرية غير محددة تُمكِّن الإنسان من صوغ جمل جديدة وفهم جمل أخرى من غير أن يتعلمها سابقاً.

أما الأداء اللغوي فيعرفه "تشومسكي" بأنه ممارسة اللغة واستعمالها في الحياة اليومية، ويرى أن هدف الدراسة اللغوية هو معرفة المقدرة اللغوية من خلال الأداء اللغوي، إذ لا يمكن الوصول إلى تلك القواعد الذهنية التي تنظم لغة من اللغات إلا عن طريق الكلام الخارجي المحسوس، ويسمي تلك القواعد بالقواعد المولدة ويصوغها على هيئة المعادلات الرياضية.[0]

ولقد نحا "تشومسكي " منحى "دوسوسير" في الدعوة إلى إيجاد القواعد العامة أو الواحدة للغات كافة.

ولقد عارض كل من "شارل فلمور " Charles Filmorsو"زوب" Suppes ما ذهب إليه تشومسكي" من آراء في مجال الدراسة اللغوية، وما يزال السجال في هذه المسارات قائماً.[0]

وثمة مدرسة "كوبنهاجن" اللغوية التي حاولت إنشاء بناء منطقي رياضي يستند إلى جهاز من التعريفات والمصطلحات.

ثالثاً – اللغة مركز الدراسات الإنسانية حديثاً

إن دراسة اللغة لم تعد لتقتصر على اللغويين وحدهم، وإنما شملت محاولات قدمها الفلاسفة والمناطقة ورجال الدين والعاملون في مختلف التخصصات العلمية ممن أثاروا تساؤلات تتعلق بطبيعة اللغة ومكوناتها وتعدد وظائفها وعلاقاتها بالفكر والإنسان والمجتمع.

وثمة من الباحثين من رسم المعرفة الإنسانية بشكل هرمي الشكل رقم (1)، قاعدته العلوم البحتة والتطبيقية، وهي وسيلة التمكين في الأرض، ووسيلة تمكين الإنسان من حسن القيام بواجب الاستخلاف في الأرض فهي ضرورة وفرشة أساسية لابد أن يلم بها كل إنسان.

الشكل رقم (1)

خريطة المعرفة الإنسانية

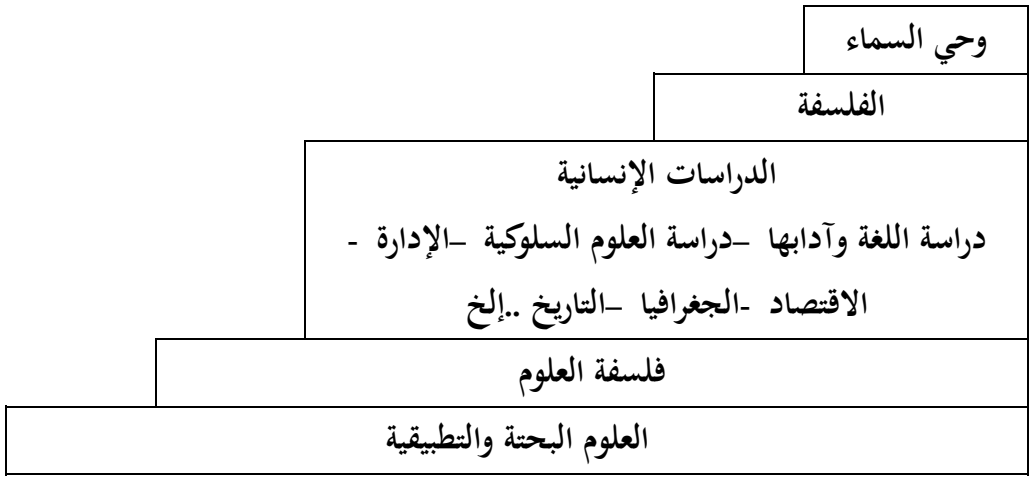

وتأتي فوق العلوم البحتة والتطبيقية فلسفة العلوم، والفلسفة هي حب الحكمة بمعنى أنه لابد أن أستخلص من الرؤية المادية حقائق ميتافيزيقية، وفوق ذلك تأتي الدراسات الإنسانية لأن الإنسان مخلوق مكرّم وكل ما يتعلق بهذا المخلوق المكرّم فهو مكرّم :دراسة اللغة وآدابها، دراسة العلوم السلوكية، الإدارة، الاقتصاد، الجغرافية، التاريخ ...كل هذه المعارف لابد أن تدخل ضمن الدراسات الإنسانية، ولما كانت متعلقة بهذا المخلوق المكرّم فهي مكرّمة وتأتي فوق فلسفة المادة.

وفوق هذا تأتي الفلسفة على الإطلاق وتنحو إلى توظيف كل نوع من أنواع المعارف المتاحة سواء أكانت نظرية أو تطبيقية بمعرفة الله سبحانه وتعالى، وفي قمة الهرم وحي السماء.

ولما كان لا يمكن فهم المعرفة الإنسانية في مختلف مستوياتها على الهرم المعرفي إلا بوساطة اللغة جاءت تقانة المعلومات والهندسة الوراثية في عصرنا لتضع اللغة على قمة الهرم المعرفي، وأصبحت اللغة رابطة العقد للخريطة المعرفية والركيزة الأساسية لفلسفة العلم، وما من مذهب فلسفي إلا وله شقه اللغوي، وما من فرع من فروع الفن إلا ويشارك اللغة في كثير من سماتها، وما من فرع من فروع العلم إلا وله صلته باللغة، وغدت مسألة اللغة ساحة ساخنة للتداخل الفلسفي والعلمي والتربوي والإعلامي والتقاني، وباتت ترتبط بعلاقات وثيقة مع الفلسفة والعلوم الإنسانية والطبيعية والفنون بأنواعها، وأقامت علاقة وثيقة مع الهندسة وذلك من خلال هندسة الذكاء الاصطناعي التي تسهم فيها اللسانيات الحاسوبية بقسط وفير.

ومن يلق نظرة على موقع اللغة على خريطة المعرفة كما يوضحها الشكل رقم :(2)

الشكل رقم (2)

موقع اللغة على خريطة المعرفة.

إنسانيات:

تاريخ **اللغويات التاريخية.**

علم الإنسان "انثروبولوجيا" **الانثروبولوجيا اللغوية.**

جغرافيا **التعبير اللغوي المكاني.**

علم الاجتماع	اللغويات الاجتماعية "علم الاجتماع اللغوي".
علم النفس	علم النفس اللغوي.
طبيعيات ورياضيات:	
علم الحياة "بيولوجيا"	البيولوجيا الجزئية الرمزية.
علم وظائف الأعضاء "فسيولوجيا"	اللسانيات الأعصابية.
فيزيـاء	علم طبيعة الأصوات.
جيولوجيا	أركيولوجيا اللغة.
منطق رياضيات	الدلالة الصورية.
فـنون	
أدب، شعر	الأسلوبية، المجاز.
موسيقى	علم الموسيقا الرمزي.
تشكيل	فنون الخط والزخرفة.
الهندسة	هندسة اللغة.
علوم الحاسوب	اللغويات الحاسوبية.
الفلسفة	نظرية المعرفة.

يجد أن هذا الموقع الفريد للغة على خريطة المعرفة الإنسانية "يؤكد أن اللغة ركيزة أساسية للمعرفة على اختلاف أنواعها حتى إنه ليقال :أينما يكن مسلكك في دنيا المعرفة فا بحث عن اللغة : قمة العلوم الإنسانية، ورفيقة العلوم الطبيعية، وركيزة الفلسفة عبر القرون، ورابطة عقد الفنون، ومحور تقانة المعلومات، وهندسة برمجتها".

ولو وقفنا على العلاقات بين اللغة وبعض العلوم المعنية بها لوجدنا ما يأتي:

- **علم النفس: إن اهتمام علم النفس يتطرق إلى معظم نواحي اللغة تقريباً وخاصة ماله علاقة بالعقل والنفس البشرية، ومما يشغل بال علماء النفس اللغوي طرائق تكوين العادات اللغوية، إذ نظر إلى اللغة على أنها عادة لا يختلف اكتسابها عن اكتساب أي عادة أخرى من عادات الإنسان، ويشغل بالهم أيضاً النمو اللغوي وعلم نفس)سيكولوجية (القراءة، وعلاقة اللغة بالشخصية وأمراض الكلام ... إلخ.**
- **علم التربية: والمربون يتناولون اختيار المادة اللغوية وبناء المناهج اللغوية على أساس تعرف أساسيات اللغة ومتطلبات الناشئة وحاجاتهم واهتماماتهم، ومطالب المجتمع الذي يتفاعلون معه، كما يتناول المربون طرائق تدريس اللغة، وتكوين المهارات اللغوية وأساليب تقويم التحصل اللغوي...إلخ .ومن المربين من عني بإيجاد وسائل اتصال أخرى غير اللغة المنطوق بها لمساعدة الصم والبكم على تعلم اللغة وإيجاد طريقة اللمس لتعلم القراءة والكتابة للمكفوفين وطرائق أخرى لتعليم اللغة للمتخلفين عقلياً أو لأولئك الذين لديهم عيوب لغوية مختلفة.**
- **الرياضيات: زاد اهتمام علماء الرياضيات باللغة في حياتنا المعاصرة حتى أصبح لعلم اللغة فرع خاص يسمى "علم اللغة الرياضي" يدرّس في كثر من الجامعات، وأسبغت التقانة الحديثة على اللغة صفة عملية بالغة الأهمية، فأخذوا يدرسون اللغة من حيث الطريقة الرياضية التي تتحكم في صوغ الرسالة، ثم في فك رموزها، وتخزين المعلومات والبيانات في الحاسوب والترجمة الآلية... إلخ. واحتل "علم اللغة الحاسوبي" مكانة بارزة فهو علم دراسة أنظمة بالحاسوب لغرض فهم اللغة الطبيعية وتوليدها، ومن تطبيقاته الترجمة الآلية، واسترجاع المعلومات والأنظمة التفاعلية مثل قواعد البيانات وتطبيقات الحاسوب المرتبطة باللغة الإنسانية، ومعالجة اللغة الطبيعية من حيث التوليد والتحليل، تحليل الجمل والنصوص والتحليل النحوي والدلالي.**

- **علم الاجتماع: لما كانت اللغة من أهم مقومات المجتمع كان اهتمام علماء الاجتماع والمتخصصين في علم اللغة الاجتماعي اهتماماً كبيراً، يشاركهم فيه علماء الأجناس البشرية "الأنثروبولوجيا" وموضوعات اهتمام هؤلاء جميعاً كثيرة ومتشبعة، تركز في بعض جوانبها على علاقة اللغة بالمجتمع.**
- **الفلسفة: إن علاقة اللغة بالفلسفة تنبثق من علاقة كلتيهما بالفكر، ووجدت الفلسفة في اللغة أداتها المثلى، إن لم يكن لشيء فلكون اللغة وسيطاً بين الذاتية والموضوعية، فاللغة هي حلقة الوصل بين الذات العارفة وما تسعى إلى معرفته أو تعريفه من موضوعات خارجها .ولقد لجأت اللغة إلى الفلسفة بدافع من حاجتها إلى نهج معرفي، فوجد "دوسوسير" مؤسس علم اللغة الحديث في فلسفة "بيرس" الرمزية مدخله لصياغة العلاقة اللغوية المحورية التي تربط بين الرمز اللغوي ومدلوله، وجاء "تشومسكي" ليتخذ من فلسفة " كانت" أساساً لتنظيره اللغوي، إذ إن "كانت" افترض وجود قدرة ذاتية كامنة في العقل الإنساني، وهي الفرضية التي أقام عليها "تشومسكي" أنموذجه الذهني بديلاً عن النموذج السلوكي الذي ساد على يد "سكنر" وأتباعه، وتطورت دراسة المعنى على أيدي الفلاسفة أكثر مما تطورت على أيدي اللغويين. ولقد نجم عن حوار اللغة مع الفلسفة أن اللغة انتقلت من دور المقترض من الفلسفة إلى كونها مدخلاً أساسياً للبحث الفلسفي.**
- **علم الحياة (البيولوجيا): تعد علاقة اللغة بالبيولوجيا في ذروة العلاقات المعرفية بلا جدال، فهي تمثل لقاء اللغة قمة العلوم الإنسانية مع البيولوجيا التي تتسنم ذروة العلوم الطبيعية، وتمثل هذه العلاقة أقصى صور المواجهة بين المادي واللامادي، وبين الرمزي والعضوي.**
- **الأدب: بدأ علم اللغة يرفد الأدب بنتاج دراساته الخاصة بالدلالة والأسلوب، وبدا أثر ذلك يظهر في النقد الأدبي، وأخذ الأديب وعالم اللغة يعملان معاً في تحليل النماذج الأدبية المختلفة بغية فهم أعمق لها.**

رابعاً –نماذج على تعدد ميادين التخصصات.

نحاول فيما يأتي تقديم بعض النماذج على اهتمام العلماء باللغة وعنايتهم بدراستها، وهم من اختصاصات متعددة.

- **الحدث اللغوي :لو وقفنا على الحدث اللغوي لنتبيّن من يعنى به من العلماء لوجدنا أن ثمة ثلاثة أنواع من العلماء يعنون بدراسة الناحية الصوتية[0]، فهنالك أجهزة النطق التي تتحرك**

لإحداث الأصوات يعنى بها عالم وظائف الأعضاء من ناحية وعالم الصوتيات من ناحية أخرى.

- أما الصوت فبعد انطلاقه في الهواء هو من اختصاص عالم الطبيعة والمهندس الكهربائي المتخصص بوسائل الاتصال، والذي يعنى بصورة خاصة بتحويل الأمواج الصوتية إلى أمواج كهرومغناطيسية للاستفادة منها في مجال الاتصالات البعيدة المدى، والصوت الذي يطرق أذن المستقبل أو المتلقي هو من اختصاص عالم وظائف الأعضاء.
- أما علاقة الدماغ باللغة والنطق فيشترك في دراستها اللغوي وعالم النفس والطبيب المختص بالجهاز العصبي، وذلك في محاولة لتفسير تلك العلاقة، والإفادة منها في علاج بعض الاضطرابات والأمراض اللغوية من ناحية، وفي الاهتداء إلى أسرار بعض أوجه اللغة من ناحية أخرى.
- اكتساب اللغة: يعد موضوع اكتساب اللغة من الموضوعات المبدئية في الدراسات الإنسانية عامة، وهو من القضايا المعرفية ذات الطابع الشمولي إن في توفيره نموذج تقاطع الاختصاصات واشتراك المعارف، أو في اتصاله بقضايا التنظير التأسيسي والمواصفة التطبيقية معاً. وأول ما يمثل في قضية الاكتساب من حيث طرقه الاختيارية ووسائله العملية علم التربية، كما أن علم النفس من العلوم التي تعكف على دراسة ظاهرة الاكتساب بوصفها معطى من معطيات تفاعل النفس مع العالم الخارجي في تقبلها مؤثراته واستجابتها لتحدياته . ومن البديهي أن يهتم علم النفس التربوي الذي هو فرع من الاختصاصين السابقين بقضية التحصيل باعتبارها إشكالا نفسياً وتربوياً في الوقت نفسه. ويأتي إلى جانب هذا وذاك النظر التجريدي العام ليتطرق إلى القضية نفسها من حيث المعرفة وفلسفة العلوم فيحصل لموضوع الاكتساب بعد أصولي تتضح بموجبه سبل الإدراك.
- كما أن أحق أجناس المعرفة البشرية بتناول حصول الإدراك في طرائقه وتقلباته إنما هو علم اللغة لأن اللغة سبيل شامل وغير مقيد في كل تحصيل معرفي واكتساب إدراكي، ولأنها فضلاً عن كونها أداة الاتصال بين الإنسان والعالم الخارجي بما في ذلك الإنسان ذاته فإنها تتنزل منزلة الرابط الجدلي الفعال بين العقل من حيث هو أداة التفكير ومكتسبات العقل من حيث هي موضوع التفكير.

وعندما قامت اللسانيات المعاصرة على مبدأ الشمول المعرفي ودك حواجز الاختصاصات

تناولت موضوع اكتساب اللغة ما اتصل منه باللغة ذاتها، وما ارتبط بالمعرفة والإدراك جملة، ومما ساعدها على ولوج موضوع اكتساب اللغة ثلاثة أمور:

أولها :ازدهار اللسانيات التطبيقية وخاصة في مجال تعليم اللغات.

ثانيها :بروز علم النفس اللغوي ضمن أفنان اللسانيات العامة.

وثالثها :بروز علم التحكم الآلي.

- دراسة المعاني: إن مجالات الجدل القديمة في اللغة على الرغم من انطفاء شعلتها ردحاً من الزمن، عادت من جديد في ضوء بعض البحوث المتعلقة بعلاقة اللغة بالواقع وفهم هذا الواقع .وشارك في هذا الجدل وفي الدراسات المتعلقة به الفلاسفة وعلماء المنطق وعلماء اللغة وعلماء النفس، وعلماء الأجناس، وما زالوا يشاركون فيه حتى اليوم.

وتعد الدراسات المتعلقة بالمعاني الملتقى الذي يجتمع فيه مختلف أنواع العلماء من رياضيين وفلاسفة وأصحاب المنطق وعلماء النفس وعلماء الاجتماع وعلماء الأجناس والمربين، ذلك لأن للمعنى أو الدلالة اللغوية أوجهاً متعددة :منها ماله علاقة مباشرة بالتركيب اللغوي أو المفردات اللغوية، ومنها ما له علاقة بالعقل، ومنها ما له علاقة بحقيقة الوجود، ومنها ما له علاقة بالصواب والخطأ والحق والباطل، ومنها ما له علاقة بمقدار المعلومات التي تنقلها الرسالة اللغوية، ومنها ما له علاقة بالمناسبات التي يتم فيها الحديث، وعلاقة المتحدثين بعضهم ببعضهم الآخر، ومنها ما له علاقة بالحضارة التي تمثل اللغة أهم مظاهرها، ومنها ما له علاقة بالحقيقة أو المجاز، ومنها ما له علاقة بالنواحي الجمالية ...إلخ.

إن دراسة هذا المظهر من مظاهر اللغة رغم تاريخه القديم قد اكتسب وزناً خاصاً في الآونة الأخيرة بتأثير النظريات التي أتى بها بعض علماء اللغة في وقتنا الحاضر . ولقد كانت إحدى الطرائق العملية للاستفادة من هذه الدراسات وما زالت هي كتابة المعاجم اللغوية، وكان أصحاب المعاجم سابقاً يركزون على النواحي التاريخية وعلى الاشتقاق اللغوي، ويجهزون المعاجم الخاصة بلغة واحدة معينة .أما التركيز حالياً فيتم على اللفظ والمعاني المتعددة للمفردات في السياقات المختلفة، وتتناول لغتين أو أكثر.

- اللغة والثقافة: سبقت الإشارة إلى إن دراسة اللغة لم تعد لتقتصر على اللغويين وحدهم،

ولم يعد الاهتمام منصباً على المشكلات اللغوية وحدها، فدارس اللغة الذي يكون في الوقت نفسه متخصصاً بعلم الإنسان "الأنتروبولوجيا" يهتم أساساً بالعلاقات العديدة القائمة بين لغة شعب من الشعوب وجوانب ثقافته، فيدرس على سبيل المثال الكيفية التي ترتبط بها لغة جماعة معينة بمكانة تلك الجماعة أو وضعها الاجتماعي، والرموز اللغوية المستخدمة في الشعائر والاحتفالات الدينية وكيف أن هذه الرموز تختلف عن الكلام اليومي العادي، وكيف يعكس تغير الحصيلة اللغوية في إحدى اللغات مجمل الثقافة المتغيرة للشعب الذي يتكلمها، وكذلك العمليات التي تنتقل بوساطتها اللغة من جيل إلى آخر، وكيف تساعد تلك العمليات على نقل المعتقدات والمثل والتقاليد إلى الأجيال التالية، فالدرس الأنثروبولوجي للغة يحاول أن يفهم دورها في المجتمعات البشرية والمهمة التي انطلق بها في رسم الصورة العامة للحضارات الإنسانية.

إن دراسة اللغة في الإطار الأنتروبولوجي يقوم على إلغاء التعارض بين اللغة والمجتمع على نحو يؤدي إلى دراسة اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية ونمطاً سلوكياً في الوقت نفسه. وتتجه عناية دارسي هذا المجال إلى التخصص في لغات الجماعات المنعزلة نسبياً، وبمعنى آخر يوجهون اهتمامهم إلى اللغات البدائية واللهجات المحلية والإقليمية والآداب الشعبية.

واهتم بعض هؤلاء الدارسين للغة باعتبارها خاصة إنسانية ووسيلة اتصال بين أفراد الجماعة الواحدة مما حدا بهم إلى دراسة المهارات الحركية التي تفصح عنها بعض من أعضاء الجسم في أثناء التلفظ ودراسة التعبير الحركي في الحياة اليومية في أثناء الكلام الشفاهي، وظهر علم اللغة الأثنولوجي الذي يعنى بدراسة العلاقة بين اللغة والثقافة.

خامساً - صوى على طريق النهوض اللغوي:

لست الآن في مجال حصر التوصيات التي تؤدي إلى النهوض اللغوي، وإنما سأركز على أربع نقاط أجدها جديرة فيما نحن في صدده من بحثنا " اللغة مركز الدراسات الإنسانية" وهذه النقاط هي:

1- سيرورة المفهوم المنظومي في شؤوننا اللغوية: في ضوء تكامل الخبرة الإنسانية معرفةً ووجدانًا وأداءً، وتكامل المعرفة البشرية في ميادينها المتعددة، وكون اللغة مركزًا للدراسات الإنسانية كافة كان علينا اعتماد مفهوم النظام أو المنظومة (System) في معالجة شؤون حياتنا اللغوية، ذلك

لأن اللغة هي أهم النظم الرمزية في المجتمع.

وينبغي لنا في دراسة أي نظام أن نركز الانتباه على ثلاثة أمور أساسية أولها مكونات هذا النظام، وثانيها الصلات الوطيدة التي تربط بين هذه المكونات، وثالثها العوامل الخارجية التي تؤثر في هذا النظام، وتربطه بغيره من النظم الأخرى في إطار أكثر اتساعًا وشمولاً.

ولقد أخفقت كثير من الجهود التي بذلت في مجال الدراسات اللغوية بسبب النظرة الجزئية المفككة إلى مكونات النظام، فالقواعد النحوية على سبيل المثال هي نظام من نظام أشمل هو اللغة، ولا تقتصر القواعد النحوية على ضبط أواخر الكلام فقط ولا على البنية الداخلية للكلمة مما يطلق عليه "الصرف"، وإنما جاوزت هذا المفهوم إلى التراكيب اللغوية وبنى الجمل الفرعية والأساسية والأصوات والمعاني لأن تغيير الحركات الإعرابية والصيغ والأبنية يؤدي إلى تغيير في المعنى، وهذا ما دفع إلى أن يدرس علم المعاني في القواعد النحوية لا في البلاغة لأنه ثمرة أي تعليم للقواعد .وهذا المفهوم الجديد للقواعد النحوية تأتى من مفهوم النظام.

2- النظرة الشمولية إلى الإصلاح اللغوي :وجه ملك الصين قديمًا السؤال الآتي إلى الفيلسوف الصيني "كونفوشيوس" :أريد أن أصلح مملكتي فبماذا أبدأ؟

فأجابه الفيلسوف: ابدأ بإصلاح اللغة.

والواقع أن تحديد المصطلحات، وإيجاد القواسم المشتركة فهمًا وتمثلاً واستيعاباً بين أبناء الأمة يدفع إلى النهوض والارتقاء . وما دامت اللغة مركزًا للدراسات الإنسانية كافة كان التعاون والتنسيق بين المعنيين جميعًا في المجتمع يرتقي بالمستوى اللغوي.

ومن هنا كان" الحفاظ على لغتنا العربية مسؤولية الجميع، مسؤولية أبناء الأمة كافة، مسؤولية المجمع والجامعة، ومؤسسات التربية وأجهزة الإعلام والمنظمات الثقافية والاتحادات والنقابات وخطباء المساجد والكنائس، مسؤولية وجهاء النخبة وبسطاء العامة، مسؤولية الناشر والشاعر والعامل والكاتب والقارئ والمدرس والطالب، ذلك لأن اللغة هي الأم التي ترعى كل ناطق بها وكأنه طفلها الوحيد والأثير، تزهو وتنمو إن تمرد عليها شعراؤها، ولا تضيق ذرعاً بصرامة علمائها، وتغفر للعامة تجاوزها، ولا تحرم النخبة من تميزها كما ذهب إلى ذلك الدكتور نبيل علي.

3- بث الوعي اللغوي: إذا كانت الثقافة قد أصبحت محور عملية التنمية في مجتمع المعرفة، فإن اللغة هي محور منظومة الثقافة بلا منازع .ومن هنا كان تركيز القطبية الواحدة على فرض لغتها على العالم معارضةً التنوع الثقافي والتنوع اللغوي، ذلك لأنه إذا ما فقد أي شعب استخدام لغته الأم

فإن ذلك سيؤدي إلى طمس ذاتيته الثقافية،وفقدانه هويته المميزة .وفي هذا الصدد يقول شاعر صقلية"اخباز يوبوتيتا":

"إن الشعوب يمكن أن تكبل بالسلاسل وتسد أفواهها، وتشرد من بيوتها، وتظل مع ذلك غنية، فالشعب يفتقر ويستعبد عندما يُسلَبُ اللسان الذي تركه له الأجداد، وعندئذٍ يضيع إلى الأبد"

وفي حياتنا المعاصرة نلاحظ أنه على صعيد السياسة والاقتصاد قد أصبحت اللغة من أشد الأسلحة الأيديولوجية ضراوة، وذلك بعد أن فرضت القوى السياسية وقوى المال والتجارة سيطرتها على أجهزة الإعلام الجماهيري التي أصبح وابل رسائلها وهوائياتها يفعل ما كانت تفعله في الماضي منصات الصواريخ الموجهة، ولا يناظر ضراوة اللغة إلا صمودها، فهي القلعة الحصينة للذود عن الهوية والوحدة القومية، ولا يناظر جبروت اللغة إلا حنوها، كيف لا؟ واللغة الأم هي شريكة ثدي الأم في إيضاح وعي الصغير، وهي راعية القيم، وملهمة المبدع وهادية المتلقي"[0]

4- إيلاء البرامج التربوية اللغوية الصدارة في سلم الأولويات: لما كان عصرنا هو عصر العلم والتقانة، وهو عصر المعلوماتية، ولا مكان فيه إلا للأقوياء بعلمهم ومعرفتهم كان المستقبل المنشود للمجتمع العربي يتوقف على دخوله إلى مجتمع المعرفة ردم الهوة بينه وبين المجتمعات المعرفية . ولما كانت المعرفة قوة كانت التربية هي البداية ونقطة الانطلاق إلى التقدم والنهوض .وما دمنا في صدد اللغة العربية والمعلوماتية كان التركيز على البرامج التربوية اللغوية على الشابكة" الانترنت" يتصدر سلم الأولويات، إذ إننا في أمس الحاجة إلى:

1. برامج تعليم اللغة العربية وتعلمها لأبنائها.
2. برامج تعليم اللغة العربية للمهاجرين من أبنائها.
3. برامج تعليم اللغة العربية لغير أبنائها من الدول الإسلامية وغيرها.
4. برامج التعلم الذاتي.
5. برامج تأهيل معلمي اللغة العربية وتدريبهم.
6. برامج تركز على أساسيات اللغة" القواعد النحوية مصطلحاً وتطبيقاً".
7. الترجمة الآلية.

كما أننا في أمس الحاجة إلى تطوير معاجمنا العربية وإيجاد معاجم جديدة تستجيب للتطورات المعاصرة، وتتنوع في ضوء الجمهور المستهدف والمراحل العمرية، إضافةً إلى معاجم تضم التعابير الاصطلاحية، وأخرى تشتمل على المفاهيم من حيث الأمن والأمان والرفض والقبول

والإنجاز والإخفاق والسر والعلن...الخ.

ولقد آن الأوان لاتحاد مجامعنا اللغوية أن ينجز المعجم التاريخي استناداً إلى مشروع الذخيرة اللغوية العربية.

حواشي البحث

1- ابن منظور –لسان العرب –الجزء 2 الطبعة الأولى –المطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر1300هـ ص 116

2- الدكتور محمود أحمد السيّد -في طرائق تدريس اللغة العربية –منشورات جامعة دمشق – 1992.

3- E.Sapir – la linguistique – paris, Minint - 1969

4- Charles Hocket : The problem of universal in language(Cambridge, mass: mit press 1978 P1-29)

5- مايكل كوربااليس ترجمة محمود ماجد عمر–في نشأة اللغة– عالم المعرفة الكويت 2006ص.15

6- الدكتور طه حسين – مستقبل الثقافة في مصر – مطبعة المعارف ومكتبتها –القاهرة 1938.

7- مجلة عالم الفكر –المجلد الثاني –العدد الأول – الكويت 1971.

8- الدكتور نبيل علي – الثقافة العربية وعصر المعلومات –عالم المعرفة –الكويت – 2001ص262.

9- الدكتور نبيل علي ونادية حجازي – الفجوة الرقمية –عالم المعرفة –الكويت 2005ص306.

10- المرجع الثاني ص .5.

11- جورج مونين –تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين –ترجمة الدكتور بدر الدين القاسم –جامعة دمشق 1972ص16.

12- اللسانيات –مدخل إلى علم اللسان الحديث – معهد العلوم الإنسانية والصوتية بجامعة الجزائر –المجلد الأول -العدد الثاني –الجزائر 1971ص27.

13- جورج مونين – مرجع سابق ص138.

14- المرجع السابق ص148.

15- الدكتور عبد الرحمن أيوب –اللغة والتطور –معهد البحوث والدراسات العربية –القاهرة 1969ص19.

16- الدكتور محمود أحمد السيد –اللسانيات وتعلم اللغة –دار المعارف للطباعة والنشر –تونس 1998ص46.

17- الدكتور نايف خرما –أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة –عالم المعرفة – الكويت1978ص90.

18- الدكتور زغلول النجار في إحدى محاضراته.

19- الدكتور نبيل علي –الثقافة العربية وعصر المعلومات –مرجع سابق ص240
20- المرجع السابق ص240.
21- المرجع السابق.
22- المرجع السابق ص248.
23- الدكتور نايف خرما –مرجع سابق ص90.
24- المرجع السابق ص91.
25- الدكتور عبد السلام المسدي –اللسانيات وأسسها المعرفية –الدار التونسية للنشر1986ص138.
26- الدكتور نايف خرما مرجع سابق ص93.
27- الدكتور نبيل علي –الثقافة العربية وعصر المعلومات –مرجع سابق ص228.
28- المرجع السابق ص229.
29- F. de Saussure – Cours de Linguistique général – paris 1966 المرجع الثالث.
30- B. F.Skinner – verbal Behavior L.N.Y. Appletons
31- Century Crofts
32- Chomsky,n. Discussion du rapport de Miller, w, et Ervin,s.(the Development of grammar in child language) child development monograph 29 (1964 a).